ـــ وليد كان كافياً ورائعاً. كنت أتصوّر أن أقضي أيامي كلها، بساعاتها، بنهاراتها، ولياليها، على صدره، ولا أكتفي».

ولكن الدكتور طارق يصر على معرفة إن كان لوليد علاقات نسائية أخرى فتجيب:

ـــ لم يهمني ذلك. كان رائعاً، لا يتعب. كنت أصرف عنه آلام الدنيا ولو لساعة. وكان هو لي في كل شيء.

وهكذا ترضى هذه المرأة الفاتنة، الشبقة، أن تكرّس نفسها لتسلية وليد «ولو لساعة»، ولا شيء بعد ذلك، أو غيره يمتعها أو يرضيها.

وحين يبلغ التوق بالمعالج النفسي حد الجنون، ويتصل بمريم في الساعة الثالثة بعد منتصف الليل، وتدعوه إلى بيتها، يسمع وهو داخل البيت صوتاً، يشبه صوت وليد، يقول:

ـــ هل هذا طارق؟

الصوت كان وهمياً بالطبع، ودلالته هي انسحاق الدكتور طارق أمام وليد.

ووليد يقف دائماً بين الرجال والنساء. فحين تسعى مريم جاهدة لإقامة علاقة مع عامر عبد الحميد، وتنجح، بعد جهد، تقول:

«وعندما تركتنا سوسن وحدنا، لتهيئة بعض الطعام في المطبخ، وقعت بين ذراعي عامر كإمرأة حُرمت من الحب سنين طويلة. أقبله ويقبلني، فتنهار بيننا السدود، وأود لو يطالبني بكل ما أملك فأقدّمه له راضية في الحال (وخطر لي في تلك اللحظات خاطر من حيث لا أدري، وهو أن وليد قد يُقبل عليَّ بتلك الحرارة لو أردت)».

وحين يعلم طارق أنه كان لوليد علاقة بجنان التامر، يحاول هو إغواءها، تتبّعاً لخطوات وليد. وإذا كان علينا أن نحلل المحلل النفسي طارق، فإننا سوف نكتشف، أنه في أعماقه، كان يود أن يغتصبه وليد. ولكن وليد، يقوم، بالنسبة له، بدور الأب الذي يقوم بعملية الإخصاء. إن علينا أن نتذكّر أن عملية الإخصاء، التي يقوم بها الأب لأبنائه، طبقاً لفرويد، يكون سببها محاولة الأبناء، مضاجعة زوجات الأب (الطوطم والتابو).

ويتكرّر الوضع نفسه، وبشكل أكثر حدة، مع إبراهيم الحاج نوفل. فهو أيضاً يحاول إقامة علاقة ثابتة مع مريم الصفّار:

«في السنوات الأخيرة، أُعجبت بتلك المرأة الأخرى التي أرى فيها شيئاً من جنون ـــ مريم الصفّار. هذا الهوج الطاغي... ولو تبقى لي يوم واحد من الحياة، سأتزوّج مريم. سأترك هؤلاء النسوة اللواتي مللت أردافهن الكبيرة وعطرهن الرخيص وكركراتهن الفجة».

بعد هذه العبارة مباشرة، تأتي الجملة التالية، التي تفضح لنا حقيقة ما يكمن في أعماق إبراهيم:

«وأبي، رحمه الله، سيغفر لي حينئذ».